مكان النزول "المكي والمدني"

ويتضمن:

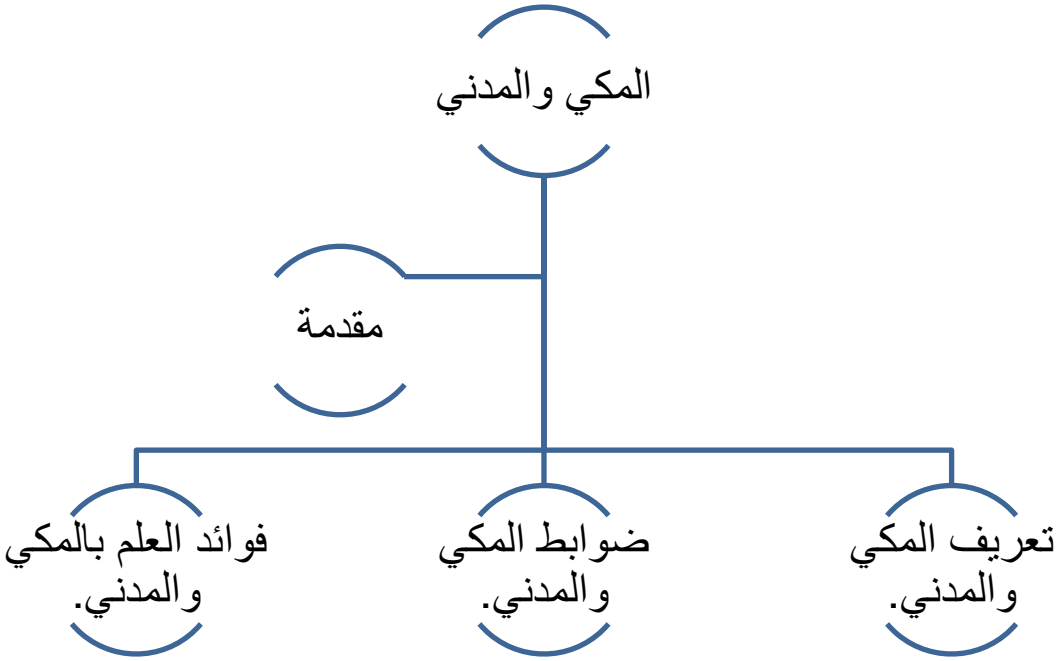

مقدمة

قال ابن مسعود رضي الله عنه: "والله الذي لا إله غيره ما نزلت سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت؟ ولا نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيم نزلت؟ ولو أعلم أن أحدًا أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبتُ إليه".

النظر في كتاب الله يحتاج إلى مثل هذه الهمة المباركة، حتى تكون الحياة على هدًى من الله وبصيرة، لذا عَنِيَ العلماء بتحقيق المكي والمدني عناية فائقة، فتتبعوا القرآن آية آية، وسورة سورة، لترتيبها وفق نزولها، مراعين في ذلك الزمان والمكان والخطاب، لا يكتفون بزمن النزول، ولا بمكانه، بل يجمعون بين الزمان والمكان والخطاب.

تعريف المكي والمدني:

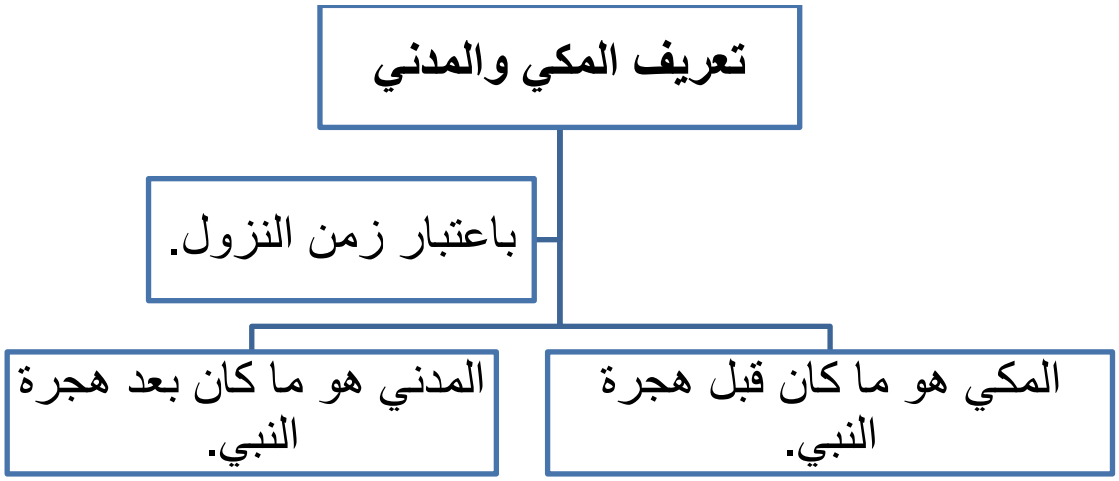

قاعدة: "لا يُقصد بوصف السورة بأنها مكية أو مدنية أنها جميعها كذلك" الوصف يكون أغلبي حسب أكثر آياتها، فقد يكون في السور المكية بعض آيات مدنية، وفي المدنية بعض آيات مكية.	
من أمثلة الآيات المكية في السور المدنية	"سورة الأنفال" مدنية، واستثنى منها كثير من العلماء قوله تعالى: {وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} لأنها تضمنت ما كان من المشركين في دار الندوة عند تآمرهم على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قبل الهجرة.
من أمثلة الآيات المدنية في السور المكية	"سورة الأنعام" قال ابن عباس: نزلت بمكة جملة واحدة. فهي مكية إلا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة: {قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ، وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ, وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}. و"سورة الحج" مكية سوى ثلاث آيات نزلت بالمدينة، من أول قوله تعالى: {هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ}.

ضوابط المكي والمدني

معرفة المكي والمدني توقيفي على النقل والسماع فقط، ولا يلتفت إلى اجتهادات وآراء وقرائن؛ لنحكم على الآية بأنها مكية أو مدنية، فمن شاهدوا التنزيل من أصحاب النبي ﷺ هم الذين يعوَّل عليهم في معرفة المكي والمدني.

أما بالنسبة للضوابط هي استقراء ووتبع من العلماء، لذا هي مسألة أغلبية، وغير منطبقة انطباقًا كليًا.

أولًا: ضوابط المكي.

ضوابط المكي
كل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم الغابرة سوى البقرة وسورة الكهف.
كل سورة فيها سجدة
كل سورة فيها لفظ "كلا" فهي مكية، ولم ترد إلا في النصف الأخير من القرآن لأن مكة كفارها جبابرة، فتكرر في القرآن المكي (كلا) على وجه التهديد والردع، بخلاف اليهود فلم يحتج معهم إلى إيراد (كلا) لذلتهم وضعفهم.
عن ميمون بن مهران رحمه الله قال: «ما كان في القرآن {يا أيها الناس} أو {يا بن آدم} فإنه مكي، وما كان {يا أيها الذين آمنوا} فهو مدني} وهذه القاعدة أغلبية، ولها استثناءات كثيرة. سورة الحج مكية وفي أواخرها: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا} وسورة النساء مدنية باتفاق العلماء وهي مبدوءة بـ {يا أيها الناس}، وسورة البقرة مدنية، وفيها {يا أيها الناس اعبدوا ربكم} و{يا أيها الناس كلوا مما في الأرض}.
كل سورة فيها آدم وإبليس فهي مكية سوى البقرة.
كل سورة تفتح بحروف التهجي كـ "ألم" و"الر" و"حم"، سوى الزهراوين: وهما البقرة وآل عمران.

المميزات الموضوعية وخصائص الأسلوب
الدعوة إلى التوحيد وعبادة الله وحده، وإثبات الرسالة؛ ليعبد العباد لرب العباد،

ينقيهم ويصفيهم من مظاهر الشرك.
وكذلك يركز القرءان المكي على قضايا التغيير كلها:
أولًا: التغيير الكوني: بأن ينظر العبد إلى الكون نظرة تأمل وتفكر في ملكوت السماوات والأرض والشمس والقمر والنجوم والكواكب، وكيف أتقن الله سبحانه صنعها، وسخرها لعباده، فيراه بنظرة جديدة وبمعيار جديد، فيتأثر ويزداد إيمانًا، كذلك يذكر مجادلة المشركين بالبراهين العقلية، والآيات الكونية بما تعجز العقول عن صده ورده.
وأيضًا قضايا الغيب، من إثبات اليوم الآخر، والبعث والجزاء والحساب فيحقق جانب المراقبة، الذي به يحصل الإنقياد لأوامر الشرع، فكان الصحابة يعيشون في الدنيا ويوقنون بالآخرة، قال تعالى: { أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ } هنا كسر لهم حدود الزمان، فحدثهم عن المستقبل بصيغة الماضي، ويبين الجزاء فيذكر الجنة ونعيمها، ويصف منازلها " عليين"، "الفردوس"، "سدرة المنتهى"، فينتج عن ذلك الشوق للجنه، والرغبة فيما عند الله من هذا الأجر العظيم، ويذكر النار وعذابها، ويصفها "سجين"، بل كانوا يستشعرون صراخ أهل النار وهم ينادون الملائكة قائلين: { ادعوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْماً مِّنَ العذاب}، ويقول الله لهم: { وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ} كانوا يعيشون هذه اللحظات كأنهم يرون المجرمين يعذبون في النار رأي عين، ويسمعون صراخ آل فرعون في النار، فيحصل لهم الخوف من النار.
ومنها ذكر أوصاف الله وأفعاله أنه يسمع السر وأخفى، وأنه علام الغيوب { وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ}، وأنه يحكم لامعقب لحكمه، وأنه ينصر المؤمنين ويهلك الظالمين، فترتبط قلوبهم بالله وتقوى معرفتهم بالرحمن ذو العظمة الذي استوى على العرش أوسع المخلوقات، بعدما كانوا يعبدون أي صنم، أو يصنعونه من العجوة وإذا جاعوا يأكلونه.
ثانيا: التغيير القلبي: بأن يتضمن القرءان الضغط على المشاعر الإنسانية كالوجل والخوف والإشفاق، حتي يصل الإنسان لدرجة اليقين، كقوله: { كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ }، وعندما يتكلم القرءان عن يوم القيامة ما يقول انه شديد مهيب، ولكن يصف وصف ينخلع له القلب: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ} [سورة الحج:1، 2]. المرضعة في لحظة الإرضاع تلقي برضيعها والحامل

تفقد حملها ولاتشعر والناس كأنهم سكارى لا عقل لهم لكنهم ليسوا سكارى ولكن عذاب الله شديد لايحتمله أحد، وكذلك المحبة كقوله: { يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ} والرجاء كقوله: { أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ}. وقد كان الكفار يخافون من هذا التغيير لذا كانوا يقولون: " لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ " فقد خافوا من مجرد السماع العابر لأنه يؤثر ويغير فقد سمعه الجبير بن مطعم قبل أن يسلم فقال: كاد قلبي أن يطير، وفي رواية: كاد قلبي أن ينخلع، وأبو بكر لما كان يصلي في فناء بيته، وكان يقرأ القرءان فيسمعه أطفال المشركين ونسائهم، فأفزع ذلك سادات قريش.
وضع الأسس العامة للتشريع والفضائل الأخلاقية التي يقوم عليها كيان المجتمع، وفضح جرائم المشركين في سفك الدماء، وأكل أموال اليتامى ظلمًا، ووأد البنات، وما كانوا عليه من سوء العادات، ليكتمل البناء المعرفي الذي يتضمن الثوابت في زمن المتغيرات.
ذكر قصص الأنبياء والأمم السابقة زجرًا لهم حتى يعتبروا بمصير المكذبين قبلهم، وتسلية لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- حتى يصبر على أذاهم ويطمئن إلى الانتصار عليهم.

ثانيًا: ضوابط المدني

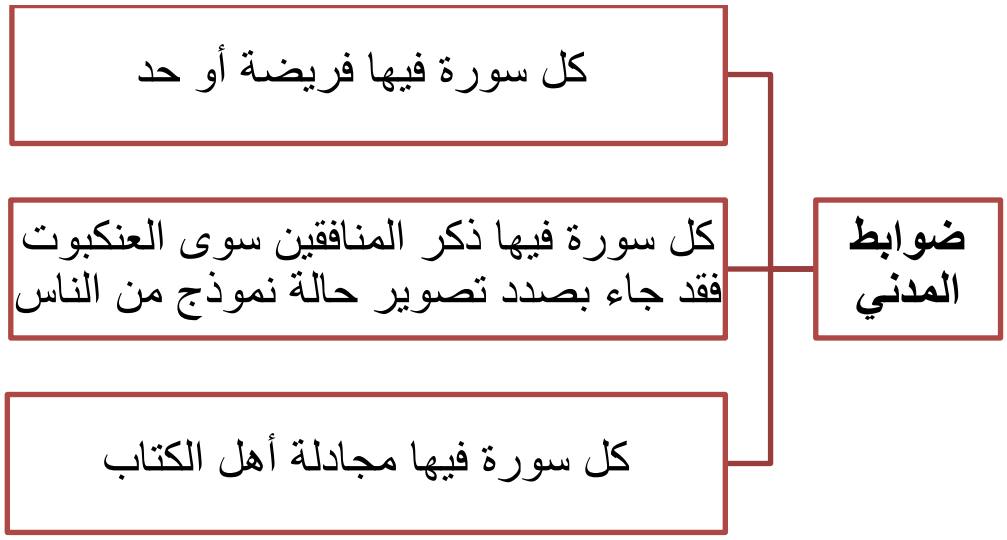

المميزات الموضوعية وخصائص الأسلوب
التفاصيل الفقهية الشرعية: بيان العبادات، والمعاملات، والحدود، ونظام الأسرة، والمواريث، وفضيلة الجهاد، والصلات الاجتماعية، والعلاقات الدولية في السلم والحرب، وقواعد الحكم، ومسائل التشريع. فبعد أن هيأت الآيات المكية القلوب وغيرت النظرة الكونية، وكذلك الأثر القلبي، جاءت التفاصيل الشرعية التي تضبط حياة الفرد والمجتمع، فيحصل الإنقياد لذا عندما جاء تحريم الخمر ألقى الصحابة الخمر في الشوارع، وانتهوا مباشرة بدون اعتراض.
مخاطبة أهل الكتاب من اليهود والنصارى، ودعوتهم إلى الإسلام، وبيان تحريفهم لكتب الله، وتجنيهم على الحق، واختلافهم من بعد ما جاءهم العلم بغيًا بينهم.
الكشف عن سلوك المنافقين، وتحليل نفسيتهم، وإزاحة الستار عن خباياهم، وبيان خطرهم على الدين، لذا قال ابن عباس عن سورة التوبة: {ما زال ينزل ومنهم، ومنهم، ومنهم، حتى ظننا أنها لا تترك أحداً}.
طول المقاطع والآيات في أسلوب يقرر الشريعة ويوضح أهدافها ومراميها.

فوائد العلم بالمكي والمدني

الاستعانة به في	فإن معرفة مواقع وزمن النزول تساعد على فهم الآية

تفسير القرآن	وتفسيرها تفسيرًا صحيحًا، وإن كانت العبرة بعموم اللّفظ لا بخصوص السبب.
تذوق أساليب القرآن والاستفادة منها في أسلوب الدعوة إلى الله	لكل مقام مقالًا، ومراعاة مقتضى الحال من أخص معاني البلاغة، وخصائص أسلوب المكي في القرآن والمدني منه تعطي الدارس منهجًا لطرائق الخطاب في الدعوة إلى الله بما يلائم نفسية المخاطب، ويمتلك عليه لُبّه ومشاعره، ويعالج فيه دخيلته بالحكمة البالغة لذا قال الله تعالى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ}. بالمثال يضح المقال: سورة الأنعام سورة طويلة، وهي من أوائل السور النازلة في مكة، وتعنى بتقرير الأصول الكبار في العقائد، ومشتملة على كليات الشريعة، ولما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة كان أول ما نزل عليه في المدينة سورة البقرة، والحقيقة أن سورة البقرة هي تفصيل لتلك القواعد المجملة التي في سورة الأنعام، وهي مبينة لأقسام أفعال المكلفين، ومقررة لقواعد التقوى المبنية على قواعد سورة الأنعام كالعبادات التي هي قواعد الإسلام، والعادات من أصل المأكول والمشروب وغيرهما، والمعاملات من البيوع والأنكحة وما دار بها، والجنايات من أحكام الدماء وما يليها، وحفظ الضروريات الخمس وهي حفظ الدين والعقل والنفس والنسب والمال، وما خرج عن المقرر فيها فبحكم التكميل. وأيضًا: نعرف كيف تدرج التشريع، ففي مكة: ما هي الأمور التي خاطبهم بها؟ وما هي الأمور التي خاطبهم بها في المدينة؟ كيف نقلهم طورا بعد طور؟
الوقوف على السيرة النبوية من خلال الآيات القرآنية	القرءان هو المرجع الأصيل للسيرة النبوية، منذ بدأ الوحي حتى آخر آية نزلت، فبالرجوع إليه ومعرفة المكي والمدني يعرف الإنسان تاريخ السيرة، ويرجح الروايات عند اختلاف العلماء فيها. **وللقرءان خصائص في بيان أحداث السيرة لاتوجد في غيره:** **الأولى: بيان الحالة النفسية للنبي:**

وهذا لايوجد إلا في القرءان، فحالة النبي النفسية لايعلمها إلا علام الغيوب سبحانه العليم الخبير.

كما في قصة زواجه من أم المؤمنين زينب: {وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ} أي وإذ تقول -أيها النبي- للذي أنعم الله عليه بالإسلام -وهو زيد بن حارثة الذي أعتقه وتبنَّاه النبيُّ صلى الله عليه وسلم- وأنعمت عليه بالعتق: أَبْقِ زوجك زينب بنت جحش ولا تطلقها، واتق الله يا زيد، وتخفي -يا محمد- في نفسك ما أوحى الله به إليك من طلاق زيد لزوجه وزواجك منها، والله تعالى مظهر ما أخفيت، وتخاف المنافقين أن يقولوا: تزوج محمد مطلقة متبناه، والله تعالى أحق أن تخافه.

الثاني: حسرة النبي على قومه، وحرصه على إسلامهم.

كما في قوله تعالى: { لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ}.

الثالث: بيان حال المنافقين.

كما في قوله تعالى: {فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ} يخبر الله تعالى عن جماعة من المنافقين أنهم كانوا يبادرون في موادة اليهود لما في قلوبهم من الشكِّ والنفاق، ويقولون: إنما نوادُّهم خشية أن يظفروا بالمسلمين فيصيبونا معهم، قال الله تعالى ذكره: فعسى الله أن يأتي بالفتح -أي فتح "مكة"- وينصر نَبِيَّه، ويُظْهِر الإسلام والمسلمين على الكفار، أو يُهيِّئ من الأمور ما تذهب به قوةُ اليهود والنَّصارى، فيخضعوا للمسلمين، فحينئذٍ يندم المنافقون على ما أضمروا في أنفسهم من موالاتهم.

الرابع: بيان العواقب والمآلات للوقائع:

سواء كان النصر في بعض الغزوات، أو كما في غزوة الأحزاب، كذلك مساعدة الملائكة في غزوة بدر

معرفة الناسخ والمنسوخ	فإذا عرفنا أن هذا نازل في مكة، وهذا نازل في المدينة، عرفنا المتقدم من المتأخر، فإذا اختلفوا في الحكم نأخذ بالمتأخر.